جاء الطلاب الى العمّال أولاً والآن: العمّال الى الجامعة..

في العدد الماضي من «الهدف» نشرنا الجزء الاول من هذه الدراسة التي تتعلق بالثورة الثقافية في الصين الشعبية، وخصوصا في مجال الجامعات، وفي هذه الحلقة الثانية والاخيرة، تتمة البحث.

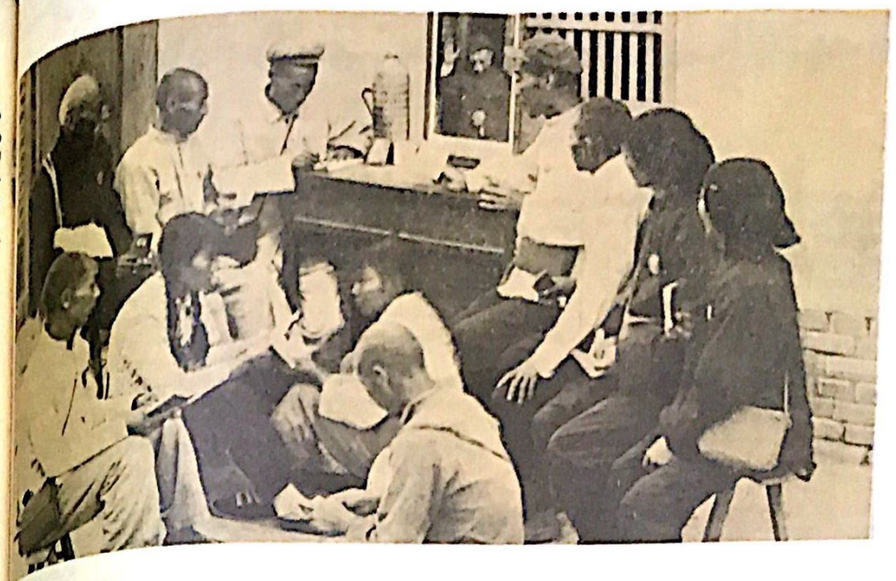

« الهدف »

روح « المئة زهره »

ان القاعدة الايديولوجية، للجامعة الاشتراكية الجديدة، هي « تعاليم ٧ ايار » لماوتسي تونغ، التي تقول، ان التعليم عليه ان يخدم السياسة البروليتارية، والعمل المثمر، المثل المعلى هو الجامعة السياسية والعسكرية، ايام الاحتلال الياباني.

هناك دعوة للعودة الى التقاليد الثورية ابان الحرب ضد الاحتلال الياباني. هذه الثورة التعليمية عليها ان تركز على افكار ماوتسي تونغ تحت قيادة طليعة، الطبقة العاملة، اي الحزب.

في حال قبول هذه الفكرة، يبقى بالطبع التطبيق، وهنا يأتي دور اللجنة الثورية. فتعمد الى اثارة النقاش، وتلخص الافكار، لكي تظهر الافكار الاشتراكية الحقيقية، « علينا ان نبقي روح « المئة زهرة » (١) مع العلم ان هناك اعشابا رديئة، علينا ان نميز الاحمر من غير الاحمر ».

وهكذا فاللجنة الثورية، تقوم بثلاثة اعمال:
- دعم ما هو مطابق لافكار ماوتسي تونغ.
- نقد وتصحيح ما هو غير مطابق لهذه الافكار.
- النضال ضد ما يقف في وجه هذه الافكار.

عدد السنين الدراسية سيتخفض، والدراسات النظرية ستحدد، على الطلاب، ان يتعلموا اكثر قدر ممكن، من التطبيق.

وهكذا فقد بني في الجامعة مصنع، وهذا مكان للتعليم، لكن عليه ان ينتج انتاجا مميتا، وقد انشأت الجامعة مزرعة في مقاطعة « كيانغي » ومعهد الهندسة الكهربائية الذي تحول الطاقة المائية، له مصنعه على النهر الاصفر، قرب « سان من ». وطلاب فن المعمار، عليهم ان يبنوا بايديهم مشروع البناء الذي يقدمونه.

لماذا هذا الاتجاه نحو التخصص؟ ونحو تقصير مدة الدراسة؟

للحؤول دون قطع الطلاب عن عملية الانتاج، ولاسباب اقتصادية ايضا. لقد رات القيادة في الصين، ان الجامعة، « تنتج » اختصاصيين ذوي شهادات عالية، وليس هناك من تكنيكيين متوسطين. هناك بعض المهندسين الذين تابعوا التحصيل العلمي طيلة ست سنوات، كانوا يعملون بمراكز دون خبرتهم، لافتقاد الاخصائيين المتوسطين.

بالطبع لن تضحي الصين بكل اخصائييها ذوي الشهادات العالية، ولكن معظم الطلاب الذين سيتخرجون من شينغوا، في المستقبل سيدرسون من سنتين الى ثلاث سنوات، بدل اربع الى ست سنوات كما في السابق، العطل الدراسية ستقصر، حوالى شهر في السنة (لم يعد الحل النهائي).

البرامج توضع مشاركة

ان ساعات الدراسة، تتغير وفقا للكليات، بصورة عامة، تتوزع الاعمال على الشكل التالي:

- ١٥٪ من الساعات لدراسة افكار ماوتسي تونغ.
- ٧٠٪ للتحصيل العلمي النظري والتطبيقي.
- ٥٪ للزراعة.
- ٥٪ للتدريب العسكري.

برنامج الدراسة يحدد داخل كل صف، من قبل الطلاب، الاساتذة، وقسم « الثورة الملبمية » التابعة للجنة الثورية. بعدما يدرس البرنامج داخل مجموع اللجنة الثورية، ليصادق عليه من قبل لجنة الحزب في الجامعة.

ان طريقة انتساب الطلاب قد عدلت بصورة اساسية، ليس هناك المجال للاعدة الثانوية ان يدخلوا مباشرة في الجامعة، بعد التحصيل الثانوي، يتعلم التلميذ حرفة ما، فيصبح عاملا، فلاحا، او جنديا، ويعمل حوالى سنتين او ثلاث، يطلب بعدها قبوله في الجامعة، هذا الطلب، يجب ان يصادق عليه من قبل رفاقه، ومن اللجنة الثورية حيث يعمل، بعدها يقدم الطلب للجامعة، التي يحق لها الرفض، هذه طريقة للحد من الاعضاء « الحمر كثيرا » ولا يملكون الخبرة الكافية.

قيل لي « ان طبقة شخص ما لم تعد محددة بالنسبة لتاريخه العائلي، بل بالنسبة لنشاطه، فالشخص الذي هو من اصل عائلي برجوازي، وبعمل يصبح عاملا، ومن الحجف معاملته كبرجوازي لان اهله كانوا كذلك ».

ان جامعة تشينغوا الاشتراكية، قد فتحت ابوابها لطلاب الفلاحين والعمال والجنود في ١٥ حزيران ١٩٧٠، كانت الدروس قد توقفت من نهاية ١٩٦٦ الى نهاية ١٩٦٨.

ففي حزيران الماضي، قبلت طلبات ٨٠٠ طالب، بعدها في ٢٩ آب، وثالثة في نهاية تشرين الاول. كان هناك ٢٨٠٠ طالب داخل الجامعة و ١٠٠٠، في المعامل خارجها، وتتوزع النسب على الشكل التالي:

- ٥٠٪ من العمال.
- ٤٠٪ من الفلاحين.
- ١٥٪ من القوات المسلحة.

في الامتحانات من النوع الجديد، عليهم ان يقدموا تقريرا خطيا عن خبرتهم، و « مقدرتهم في التحليل ». في نهاية المدة الدراسية، لا يعطون الشهادات، ولكن اسماءهم تسجل.

هل يمكن الفشل في الامتحان النهائي؟

اللجنة الثورية لا تعرف بعد، الموضوع ما زال قيد الدرس.

هؤلاء الطلاب هل سيصبحون من المثقفين بالمعنى الكلاسيكي؟

- كلا، بل سيصبحون « عمالا مثقفين ».

ولقد بدات الثورة الثقافية بمجيء الطلاب الى العمال، وانتهت بدخول العمال الى الجامعة. فعالم المعرفة، الذي عاش خلال ثلاثين قرنا، في برجه العاجي، ينزل الى مستوى حقل الرز الذي طالما احتقر.

كيف سيعمل هذا النظام، وما هي نتيجته؟

ومن السابق لاوانه اعطاء الراي، خاصة وان المشاكل لا تطرح بنفس الصيغة، في كل الكليات، فمن السهل اعطاء محتوى تطبيقي للدراسات في « شينغوا »، في الجامعة التكنيكية، اكثر مما هي الحال في « بينا » حيث يدرس الحقوق والتاريخ.

ان القادة الصينيين، يأملون ان يقللوا نسبة الفرق بين القطاعات المتقدمة، والمستوى الفني العام للجماهير، وهم يؤكدون ان الخط الايديولوجي قد ارسى قاعدته، ولكنهم يعترفون، انهم ما زالوا في حيز الاختبار.

قبل مرحلة التحرر الوطني، كانت الثانوية التابعة لدار معلمي بكين، مدرسة ارستقراطية، واستيلاء الشيوعيين على السلطة لم يبدل هذا الحال. فخلال سبعة عشر عاما، كان « التحصيل العلمي » هو في القيادة، بغض النظر عن السياسة. « كانت الامتحانات هي الاساسية، فالطلاب كان همهم الدرس فقط، لا ان يصبحوا شيوعيين حقيقيين ». (هكذا قال لنا احد اعضاء اللجنة الثورية). كل هذا قد تبدل اليوم ».

هذا التبدل لم يكن عفويا، قاول جريدة حائط علقت على جدران الثانوية في حزيران ١٩٦٦، اي ثلاثة اسابيع بعد تعليق « دزيباو » في جامعة بكين. « فلجان العمل » كانت قد ارسلت في ٩ حزيران من قبل لجنة الشيوعي.

ونتيجة لفقدان الحماس والضغط لم تسر حركة الحراس الحمر العمل بسهولة ر البدء.

ففي تموز كانت تضم حوالى عشرة الف فقط، كانوا يتهمون بالعمل ضد الثورة، قبل لجان العمل.

في نهاية تموز، تركت لجان العمل الكبرى واستطاع الحراس الحمر ان يطوروا حركتهم بحرية.

ففي بداية ١٩٦٧ كان هناك حوالى منتسب على مجموع ٥٠٠٠ طالب، وعشرة لبقية المؤسسات. لم تاخذ الثورة الثقافية هنا طابع العنف، فقد انقسم الحراس الحمر الى ثلاثة تنظيمات داخل كل مجموعة، وقد وقع الى العنف. في ٢٧ شباط ١٩٦٧، دخلت وحدات من الجيش الشعبي(٢)، لتقوم باعادة النظام والدروس التي كانت معلقة منذ ١٩٦٦ الى من جديد.

في آب ١٩٦٧ شكلت اللجنة الثورية للجامعة بوحي من فرقة الجيش الشعبي وبدون تدخل مباشرة، تضم سبعة عشر عضوا: ثلاثة كوادر، اربعة اساتذة، عاملا واحدا، وتسعة طلاب. اول عملها كان توسيع المواد المدرسة، وقد بداية التدريس، اقتصر الامر على العلوم الدقيقة واللغة، الرياضيات، والتدريب العسكري.

في ٣٠ تشرين الاول، دخلت « لجنة العمالية » الى المدرسة، وساعدت على تشكيل اللجنة الثورية المؤلفة من ثلاثة عمال، عضو في الجيش الشعبي، وعشرة كوادر وأساتذة. وقد استطاعت اللجنة الثورية خلق برنامج التعليم من جديد.

مدة الدراسة التي كانت ست سنوات قبل ١٩٦٦، لم تعد سوى اربع سنوات، وقبل طالب مقسمين الى تسعة وعشرين صفا، في نفس المستوى من القوة، وربما القوى مما كانت عليه في عام ١٩٦٥، وقد تخطت مراحل صعبة بالتاكيد، ولكن صعوبة هذه المراحل كانت مبالغة في الخارج.

والثورة الثقافية، كانت اعنف بكثير في المدن مما كانت عليه في الريف، فالصعوبات لم تعم في البلاد بدفعة واحدة، فبينما كانت هناك مؤسسات ادارية تنتقد في مناطق، كانت في مناطق اخرى هي طور البناء.

واصلاح اولئك الذين ارتكبوا الاخطاء، هي القاعدة المتبعة. فمنهاج الدراسة قد تبدل، والاساتذة ما زالوا في مناصبهم. والكوادر، ذهبوا الى الريف للعمل بالحول والرفش، وعادوا من بعدها، اعضاء السلك الدبلوماسي سحبوا، ثم عادوا من جديد. حالات الاعدام كانت قليلة جدا، واعمال العنف، قامت بالرغم من السلطات وليس بامر منها، بالنسبة للانتقادات الذاتية التي نبدو لنا وكانها للحقير، هي من طبيعة العادات الصينية.

عندما كتب ماو « السلطة تنبع من فوهة البندقية» كان ذلك بالنسبة للسلطة الداخلية « الجيش يخدم الشعب - والشعب يساند الجيش ». هذه الكلمات مكتوبة على الحائط، وملصقات المعمل، وفي المدارس، نجدها في اي مكان، كما نجد الجيش الشعبي في الشوارع، والمحلات، والمسارح، والمصانع، والريف. بخيل لنا، ان نصف الصين، يرتدي لباس الجيش الشعبي، لدرجة اننا نتساءل ما اذا كان الجيش الشعبي يعمل في الحقول، ام اذا كان الفلاحون قد انخرطوا في الجيش الشعبي؟ ابعد من القوانين، فالتغير العميق الذي حملته الثورة الثقافية، هو ولا شك موقف الصيني الوسط، بالنسبة للسلطة.

بالطبع، ان الايام، حيث كانت « الدزيباو » تغطي الجدران في الصين قد ولت، ولكن بقيت الاعلانات بالاحرف الكبيرة. ف « دزيبو » ١٩٧١ تظهر في المعامل، ومعرات البيوت، واحداها على جدران مطبعة « هسنهوا » في بكين، جاء فيه: « في نفس الليلة، حيث انفقت فرقة عمال الليل، والكوادر، لزيادة النشاط ولتطوير الانتاج، ذهب الكوادر الى السينما، بذهابهم الى السينما اعطى الكوادر المثل السيء للعمال، فلم يبرهنوا، على انهم مثلا حسنا مع العمال، ويضع العمال، الكوادر على حذر من جراء، هذه التصرفات».

والانتقاد الجماعي لم يلغ الانتقاد الفردي، ففي واجهة مصلح ساعات في شنهاي، نقرا الاعلان التالي « لقد جلبت ساعة للتصليح فقيل لي انها لا تصلح، فذهبت الى محل آخر، وصلحت خلال يومين. كيف نفسر ذلك؟ في هذا المحل، لا نخدم مصالح الشعب». وكان الاعلان موقعا..

هذه الانتقادات، لم يكن بالاستطاعة تصورها في عام ١٩٦٥. اما اليوم، فالنظام لا يسمح فقط بل يشجع هذه الانتقادات، والشعب قد بدا، او عاد، ليعبر عن رايه.

ربما يكون هذا هو ما حملته الثورة الثقافية.

انتهى - اعداد « الهدف »

طريقة الامتحانات

لتقييم عمل التلامذة، هناك طريقة الاربعة اقسام: النخبة - الجيدون - الوسطيون - السيئون.

ويجري الامتحان كل سنة اشهر، بالمواد التالية: رياضيات، قراءة صينية، لغة اجنبية، وعلوم. ونوزع الاسئلة، يوم او يومين قبل الامتحان. « هنا ليس اختبار ذاكرة للتلميذ »، قال لي احد الاساتذة، « بل لتطوير طاقته، في التحليل والتفكير».

والمسابقات، تقيم من قبل اساتذة وطلاب كل صف.

- هل هناك امكانية للرسوب؟

- « هذا لم يحدث بعد » اجاب الاستاذ.

هذا سؤال مهم. ففي الماضي، كثيرا من التلامذة الذين يتحدرون من اصل عائلي بسيط، كانوا يرسبون، ويرون في ذلك عملية تمييز، خلال الثورة الثقافية طالبت بعض العناصر بالغاء الامتحانات. الطريقة الحالية هي اعمق، ولكنها تفرد نوعا ما الى عملية الانتقاء. ان سنوات الدراسة الاربع، مقسمة الى مرحلتين، المرحلة الابتدائية، والمرحلة العالية: ففي مدرسة رقم واحد في « شينغشا » ٦٠٪ من التلامذة يقفون عند السنتين الابتدائيتين. والذين يتابعون للمرحلة الجامعية فيما بعد، يختارون من قبل الاساتذة، والطلاب، بالنسبة لطاقتهم الخلقية، والفكرية.

وكما كانت الحال في جامعة « تشينغوا » فان عملية اصلاح الكوادر القديمة هي المتبعة، ففي المدرسة رقم واحد في « شينغشا » عاد ١١٠ كوادر كانوا يعلمون خلال ١٩٦٦، وكذلك الحال في بكين.

الاخلاص والاجتهاد

عملية « اصلاح الكوادر » هذه، تظهر ايضا في التنظيمات، فحركة الحرس الاحمر لم تعد الحافز الوحيد للثورة الثقافية، ولكنها لم تلغ واعضاؤها اصبحوا، المخلصين للتنظيم، « مخلصين للرئيس ماو، ويدرسون باجتهاد ». ولكي يصبح الفرد من الحرس الاحمر، عليه ان يتقدم بطلب، يصادق عليه من قبل التنظيم، « عليه ان يعد بالعمل الجدي» قال لنا احدهم، ونابع بفخر: « كلنا نتسابق الى عضوية الحرس الاحمر ».

ففي دار معلمي بكين يبلغ عدد الحرس الاحمر حوالى ٢٥٪ من مجموع الطلاب البالغ ١٦٠٠، والكوادر تشكل من عصبة الشباب الشيوعي، التي عادت الى الظهور.

لا نستطيع في الوقت الحاضر، تقييم الثورة الثقافية، فهذا سابق لاوانه، ولكن يمكننا اعطاء بعض التحاليل: فالصين اليوم هي على نفس المستوى من القوة، وربما القوى مما كانت عليه في عام ١٩٦٥، وقد تخطت مراحل صعبة بالتاكيد، ولكن صعوبة هذه المراحل كانت مبالغة في الخارج.

والثورة الثقافية، كانت اعنف بكثير في المدن مما كانت عليه في الريف، فالصعوبات لم

(١) فكرة اطلقها الرئيس ماو في عام ١٩٥٧ « فلتتفتح الازهار من كل شكل » وذلك لتشجيع حرية الابداع الثقافي.

(٢) يجب ان ينظر الى الجيش الشعبي، في جمهورية الصين الشعبية، بمنظار خاص، فهو متلاحم تلاحما كليا بالجماهير سواء كان في المصنع، ام في الحقل، كما تدل على ذلك بعض مقاطع هذه الدراسة، وخاصة قرار اللجنة المركزية الذي نشرناه في مقدمة هذه الدراسة، في العدد الماضي.

شؤون عسكرية

كيف تهزم جماهير الفيتنام الفقيرة قوى الحرب الالكترونية المتفوقة؟

ان المعارك * التي شهدتها لاوس كانت من اعنف المعارك التي شهدتها الهند الصينية: فالفيتناميون الجنوبيون مجبرون على نزل مواقعهم المتقدمة بينما اضطر الاميركيون، للقيام بثلاثين الف مهمة لطائرات الهليكوبتر، واستعملوا في بعض الايام اكثر من الف طائرة.

السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يستطيع الشيوعيون الصمود امام هذا « الطوفان » من النيران، ويحافظون على المبادرة في القتال؟

ان شرح هذه المعركة يجب ان يتم فيما بعد، وفهم هذه العمليات يبدو صعبا ومذهلا، عندما نقف على حقيقة ما يستعمله الاميركيون من وسائل تكنيكية.

حول هذا الموضوع بالذات، كتبت « جريدة القوى المسلحة الاميركية » مقالا في ١٥ شباط تتضمن معلومات قيمة.

ان الحرب الالكترونية قد بدات منذ ١٩٦٧، وقد بلغت منذ ذاك الوقت، درجة مذهلة: ان المسافة الفاصلة بين « مي - جي » في فيتنام الجنوبية والمنطقة المجردة من السلاح، هي ١١٠ كلم، بينما هناك شبكة مدارج للطائرات، يبلغ طولها ٥٢٠٠ كلم، وهناك محطات موزعة في كل الانحاء، وتضم عناصر اخصائيين في النقل، وقواعد للصواريخ ضد الطائرات، هذه المحطات مربوطة بواسطة الهاتف، وعملها يتعلق بتامين سير الشاحنات، واصلاح المدارج، وبناء مدارج اخرى، وهناك حوالي ٤٠ الف شخص للقيام بهذه المهمات: ان سرية رقم ٥٥٩ في الموضوعة تحت امرة جنرال عليها ان تؤمن سير ٢٥٠٠ شاحنة في الشهر.

قبل موسم الجفاف، يجمع الفيتناميون الشماليون شاحناتهم، قرب رؤوس الجبال (حوالي ٨٠٠٠ قبل البدء بالموسم الحالي)، لتقلع مع هبوط الليل، ويستعمل في فيتنام شاحنات ٨ طن، اما الشاحنات التي تسير على مدارج فحمولتها خمسة اطنان من المعدات، وفي المناطق حيث يجب الاسراع، تسير شاحنات الثلاثة اطنان، وتقطع ٣٠ كلم في الليلة.

ويلقي الاميركيون القنابل، ويستعملون ايضا معدات اكثر تعقيدا، واليكم بعض الامثلة: (م - ٣٦) وهي من القنابل الحارقة، تحتوي على ١٨٢ قنبلة حارقة اخرى. « ب. ل. بو - ٣١ » وهو لغم يزن حوالي ٣٥٠ كيلو غراما يختفي داخل الارض حالما يلامسها. « باف - بات - ٢ » وهي قنبلة تزن حوالي ١٢٥٠ كيلو غراما، تنزل بواسطة المظلة، تحتوي على مادة « بروفان » وتنفجر حالما تلامس الاشجار، وتستعمل لحرق الغابات.

و « اسنان التنين » اشواك مسمومة تقذف بكميات هائلة. وهناك ايضا اجهزة تزن طنا تقريبا مثل القنبلة التي تستعمل لاشعة «الازر»، والـ (ي - ٥) (وتحمل عدسة تلفزيونية في راسها) تستعمل على مداخل المغاور.

هناك جهاز الكتروني فخم ايضا تحت تصرف الطيارين، وهو يستعمل للبحث عن التحركات المريبة. فهناك الـ « سباك بوي » الذي يخفى تحت الارض، و « تاوبوي » الذي يخفى بين الاشجار، والـ « ادسير » الذي يخفى ايضا تحت التراب، ولكن له هوائي، وهو يشبه نبتة آسيوية. والطراز الحديث منه «اكوسيد» باستطاعته ان يبث عند الطلب.

وهناك الاف الاجهزة لبث المعلومات، وهذه الاجهزة لا تصلح، فهي تخرب نفسها في حال كسر غلافها، ان الاسم المحبوب للحرب الالكترونية هو « ايطو وايت ».

خلال بدء العمليات، كانت المعلومات تحلل بواسطة اخصائيين، قابعين في طائرة من نوع « اي سي - ١٢١ - ر » اما الهوى في فضاء لاوس تحلق طائرة من نوع « كي يو - ٢٢ - ب » دون طيار، على ارتفاع شاهق، وتنقل المعلومات راسا الى مركز المراقبة في تايلند، حيث معلومات كل جهاز الكتروني، مضبوطة في جهاز « اي. بي. م - ٣٦٠ - ٦٥ س » وهناك اجهزة الكترونية للتحليل، تنقل بواسطة الجو الى فيتنام الجنوبية، تستعمل ايضا.

هناك امور الغرب من ذلك ايضا: هناك ضباط اخصائيون يقطون منطقة معينة، ويوجد تحت تصرفهم « المخبرون على الارض »، ودماغ الكتروني، وطائرات تستخدم للمهمات الرئيسية، وعندما يكتشف الدماغ الالكتروني، نشاطا للفوى المعادية في الغابة، ينبه راسا الضابط، وتظهر امام هذا على شاشة تلفزيونية خريطة « المدارج » للمنطقة المحددة، وتظهر على الشاشة مواقع الاجهزة الالكترونية المخبرة، ويمكن من خلال اضاءة الشاشة متابعة تحرك القوى الشيوعية وشاحناتها، وبستطيع الضابط ان يسمع الشريط الصوتي، لان الاجهزة الالكترونية تبث الاصوات المسجلة في لاوس، عندما يعطي طيارو « ف - ٤ » المعلومات للدماغ الالكتروني فتتحرك الطائرات، وتاخذ تلقائيا الهدف المحدد. وفي حال تقلب الاحوال الجوية، فالادمغة الالكترونية تعطي بنفسها الاوامر لتحرك الطائرات!

وبعد ذلك كله يظل السؤال مطروحا:

- كيف استطاع الفيتناميون الشماليون، هذا الشعب البسيط، الذي يستعمل العمل والرفش، والشاحنات البطيئة، ان يصمد بالرغم من كل هذا، بوجه هذه الحرب، موجها الضربات الصعبة « للجيش النموذجي »، الذي يضيع تحت تصرفه احدث الابتكارات التكنولوجية، لافتى بلد في العالم؟